كتاب تذكاري

تمّام حسّان

رائداً لغويا

بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه

إعداد واشراف
الدكتور
عبدالرحمن حسن العارف
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة - ٣٩٢٦٤٠١

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب
على مسئولية أصحابها

عالم الكتب
نشر ★ توزيع ★ طباعة

الإدارة :
١٦ شارع جواد حسني
تليفون : ٣٩٢٤٦٢٦
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :
٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ١٦ محمد فريد
الرمز البريدي : ١١٥١٨

الطبعة الأولى ١٤٢٣/٢٠٠٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٣٤٠٨
الترقيم الدولي : 977-232-305-2

اللسانيّات ودورها في التحقيقات والقوانين الجنائيّة

(روجر شاي R.Shuy) ترجمة: أ.د. مازن الوعر (سوريا)
جامعة البحرين. جامعة دمشق

مدخل:

يشكل عنوان هذا البحث الذي كتبه العالم اللساني الأمريكي روجر شاي[1] (R.Shuy)، والذي يطلق عليه بالإنكليزية: "Topic as The Unit of Analysis in a Criminal Law Case" موضوعاً واحداً من موضوعات عديدة كانت ألقيت في المؤتمر اللساني السنوي الذي عُقد في جامعة جورج تاون في واشنطن ـ العاصمة عام ١٩٨١. وقد أشرفتُ على تحقيق هذه الموضوعات الباحثة اللسانية دبورا تانن وطبعتها جامعة جورج تاون عام ١٩٨٢ تحت عنوان:

Tannen, D (Editor - 1982) **Analyzing Discoures: Text and Talk** Georgetown University Press, Washington. D.C.

ولصعوبة المصطلح اللساني من جهة، وصعوبة المادة اللسانية المطروحة في هذه الدراسة من جهة أخرى، فقد ترجمته هذه الدراسة ترجمة متصرفة ومشروعة، بحيث أعدتُ صياغتها وتأليفها باللغة العربية، فكان هناك نوع من التعديل والحذف والإضافة والتطوير بحيث تصبح مفهومه للقارىء العربي الكريم (وآمل ذلك).

إن الهدف الأولي والأخير لهذا البحث معرفة العلاقة القائمة بين اللسانيات من جهة وبين التحقيقات والقوانين الجنائية من جهة أخرى، فهذه الدراسة تبيّن بوضوح كيف يمكن استثمار اللسانيات الحديثة في حقل التحقيقات والمحاكم القضائية الجنائية...، ثم كيف يمكن للسانيات الحديثة أن تُطوِّر نظريتها من خلال العمل على مواد لغوية غنية وفريدة تقع في إطار اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وتداخل النوايا الزئبقية حول تينك اللغتين.

١. تمهيد

عندما يواجه بحث علمي كمية ضخمة من المواد المدروسة فإن المشكلة سوف تتضح

(١) روجر شاي (R.Shuy) عالم لساني أمريكي يعمل في مركز اللسانيات التطبيقية في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك هو خبير لساني مشهور تستشيره المنظمات والهيئات الرسمية الحكومية، وقد استغرقتْ هذه الدراسة الميدانية التي كلفته بها المحكمة الجنائية عاماً كاملاً.

وتتطوّر لتطرح السؤال التالى: كيف يمكن للباحث العلمى أن يتعامل مع هذه الكمية الضخمة من المواد من أجل أن يكشف مكوناتها المرئيّة واللامرئية؟

لقد نبّه العالم فيغوتسكى عام ١٩٦٢ إلى هذه المسألة، واعتبر أن العامل الحاسم والمهم فى تحليل المواد المدروسة يكمن فى اختيارنا للوحدة القياسية المناسبة أو المعيار الدقيق من أجل استعمالهما فى دراسة هذه المواد.

والواقع لقد عانى البحث اللسانى، ولسنوات عديدة، من المناهج الرتيبة (الروتينية) لتحليل المواد اللغوية، وهكذا فإن هذه المناهج التقليدية والكثيرة لتحليل الكلام الإنسانى كانت قد طُبقت على كمية كبيرة من المواد اللغوية من أجل تحليلها ومعرفة مكوناتها . أضف إلى ذلك أن بعض الباحثين اللسانيين لم يحسنوا تطبيق هذا المناهج التقليدية فى التحليل اللغوى.

والآ ن لنفترض (افتراض العالم فى البحث) أن هناك مواد لغوية مسجلة على آلة تسجيل، مدتها الزمنية نصف ساعة من الوقت، وهذه المواد اللغوية عبارة عن حديث يجرى بين بعض المجرمين المشتبه بهم، وإن هذه المواد تحتاج إلى دراسة وبحث واستقصاء لتحديد ما إذا كانت الجريمة قد حصلت أم لم تحصل، فإن منهج التحليل الصوتى البنيوى القديم لا يستطيع أن يخدمنا فى هذا المجال، وهكذا فإذا أخذنا بنصيحة العالم فيغوتسكى الذاهبة إلى ضرورة اختيار الوحدة القياسية المناسبة للتحليل، فإننا نحتاج لأن نبيّن السبب الذى يجعلنا نحلل المواد اللغوية فى هذه الدراسة تحليلاً حديثاً يبتعد عن التحليل التقليدى (الروتينى) الذى عرفه البلومفيلديون البنيويون. والسؤال الذى ينبغى أن نطرحه على أنفسنا الآن هو ماهى الوحدة القياسية المثلى للتحليل اللسانى التى أستطيع من خلالها أن أدرس مشكلة من المشكلات اللغوية لكى أجد حلاً لها.؟

إن الهدف من هذه الدراسة تبيان كيفية استخدام تحليل الموضوع الرئيسى للحديث بين شخصين أو أشخاص معتبرين هذا الموضوع وحدة قياسية حاسمة فى التحليل اللسانى، وذلك من أجل تقديم الشاهد أو الدليل من المدّعى عليه فى قضية تقع فى إطار القانون الجنائى حدثت فى خريف عام ١٩٧٩، ولكن قبل الولوج فى تحليل هذه القضية لابد من معرفتها باختصار.

٢.قضية آرثر جونز

آرثر جونز تاجر غنى كانت له مشكلات مع زوجته ويندولين، وقد قادت هذه المشكلات إلى أن تقيم الزوجة عليه دعوة طلاق فى المحكمة، والواقع لقد تزوج جونز هذه المرأة منذ زمن بعيد، وعاش معها عيشة راضية قبل أن يبدأ الخصام بينهما.

وأثناء الفترة المريرة التى كانا يحتكمان فيها إلى المحكمة من أجل البتّ فى قضية الطلاق، ذهب رجل كان يعمل لحساب جونز إلى قسم الأمن وأخبره بأن جونز هذا كان قد طلب منه أن يجد له رجلاً ما من أجل أن يقوم بقتل ز وجته ويندولين وقتل القاضى معاً أثناء المحاكمة.

وقد وافق شخص اسمه رويو فوستر على أن يقوم بهذا الدور. وقد طُلب من هذا الرجل أن ينخرط فى نشاط لغوى كلامى معين مع جونز، ذلك أن رجال الأمن كانوا قد ألصقوا آلة تسجيل صغيرة جداً على جسمه من أجل أن تسجّل الحديث الذى سوف يدور بينه وبين جونز حول كيفية القيام بهذه الجريمة.

وهكذا يمكن بعدها استخدام هذا الشريط المسجّل كدليل قوى وثابت ضد جونز. انطلاقاً من هذا الاتفاق فقد رتّب فوستر لقاءً مع جونز فى حديقة المدينة، وقد حاول فوستر هنا أن يلعب لعبته اللغوية هادفاً إلى استنطاق جونز حول الترتيبات التى يمكن تنظيمها من أجل قتل زوجته والقاضى فى المحكمة.

لقد استغرق الحديث بينهما حوالى عشرين دقيقة، وبعد يومين آخرين تمّ لقاء آخر بين فوستر وجونز استغرق حوالى عشر دقائق، بالإضافة إلى تسجيل هذين الحديثيْن بين فوستر وجونز عن طريق آلة التسجيل المخفاة قام قسم الأمن الجنائى بتصوير هذين اللقاءين عن طريق الكاميرا المخفاة التى كانت موجودة فى سيارة شاحنة تُستخدم لنقل السلع.

إن هذه الإجراءات المنظمّة جعلت النائب العام للمدينة راضياً، ذلك أنه سيكون هناك دليل ثابت وقوى على نيّة جونز حول قتل زوجته والقاضى معاً. وهكذا فقد وجهّت التهمة إلى جونز واستُدعى نتيجة لذلك إلى محكمة الولاية فى الخريف الذى تلا هذه الحوادث، وقد انتهت المحكمة بتعليق قرار هيئة المحلفين (الذى كان ٨ ضد ٤) لصالح التعليق على أن تعود المحكمة للاجتماع فى الشتاء القادم.

٣.تحليل الموضوع الرئيسى فى الحديث

لقد كنت بيّنت فى مقال نشرته عام ١٩٨١ الصعوبات الجسيمة والمؤلمة التى واجهتُها ـ كباحث لسانى ـ عندما توفرتْ لى فرصة المشاركة فى قضية من القضايا الجنائية التى تجرى داخل المحكمة.

فبعد سماع الشريط المسجّل وقراءة الحديث الذى تمّت كتابته على الورق، بدأت بتحليل المواد اللغوية التى تضمنها. لقد كانت الأسئلة اللسانية التى فرضتْها هذه المواد اللغوية واضحة جداً تلخصّت بما يلى:

ـ ما هو الشيء الذى وافق جونز على فعله بالضبط؟

ـ ما هى نواياه الحقيقية تجاه زوجته والقاضى؟

ـ ما هى نوايا فوستر أيضاً؟

لكى نجيب عن هذه الأسئلة لابد من ربطها بالموضوعات الرئيسية والمحددة التى جرت فى المحادثة (بين جونز وفوستر)، وقد اتبعتُ المبادىء العامة للمنهج اللسانى المعروف بـ «تحليل الموضوع ـ والرد عليه» الذى كان قد وضعه العالم اللسانى الأمريكى والسن تشيف (W.Chafe) عام ١٩٧٢، وطوّره العالم اللسانى كاتس (C.Kates) عام ١٩٨٠. إن الفكرة الرئيسية لهذا المنهج اللسانى تتلخص فى أنه لا يمكننا أن نعرف التركيب اللغوى من خلال العلاقات النحوية ولا حتى من خلال المعنى الذى تفرزه هذه العلاقات النحوية.

يقول كاتس (١٩٨٠) فى هذا الشأن:

«ينبغى أن نعالج الشيء على أنه موضوع رئيسى سواء أعُبِّر عن هذا الموضوع لغوياً أم غير ذلك. ينبغى علينا أن ننظر إلى الموضوع على أنه أمر مقصود (على النيّة) أو تركيب لغوى ثابت غير متغير، أما الخبر (أى الرد على الموضوع) فيرجع إلى شيء ما يمكن من خلال هذا الشيء أن يكون ما يلى:

(١) يستطيع الموضوع المقصود أن يُظهرَ نفسه.

(٢) ينبغى على الموضوع المقصود أن يُظهرَ نفسه.

(٣) سوف يُظهرُ الموضوع المقصود نفسه.

(٤) يُظهر الموضوع المقصود نفسه بالفعل».

فإذا وضع الباحث اللسانى هذه الموضوعات الرئيسية المقصودة والمتفاعلة على الخارطة فإنه يستطيع أن يحصل على صورة مجسمة (مكبرة) لبنية المحادثة التى يمكنها أن تسلّط ضوءاً قوياً على حركة الإدراك واتجاهه فى الدفاع الإنسانى.

إنّ مثل هذه الخارطة اللغوية للموضوعات الرئيسية مهمة جداً ولا سيما لخدمة القضايا القانونية التى تجرى فى المحاكم، وذلك لسببين اثنين:

الأول: لسانى ـ تحليلى، ذلك أننا نستطيع أن نقسّم المحادثة إلى وحدات معنوية (دلالية)، يمكن للأقوال من خلالها أن تُبيّن على أنها مرتبطة بالردود ارتباطاً علائقياً كما سوف نرى.

الثانى: قانونى يتعلق بهيئة المحلفين فى المحاكم، إذ إن تحليل الموضوعات الرئيسية فى

محادثة ما يمكن أن يزودنا بأدلة واضحة عن طبيعة تلك المحادثة في مستوى مجسّم (مُكبر)، وهذا بدوره يمكّن المحلّف ولاسيما ذلك الذي ليس عنده تجربة غنية، من أن يتطلّع إلى المشكلة بنزاهة وموضوعية مطلقتين، متجنباً بذلك هفوات الذاكرة والتفاصيل المملّة التي يمكنها أن تضعف من قدرة المحلّف على استنباط الدلائل والحقائق.

أضف إلى كل ذلك ما لاحظه غرينفيلز عام ١٩٨٠من أنه «إذا استطعنا أن نعيد بناء السابق واللاحق (البداية ـ النهاية) مع تحديد الهدف ، فإننا نكون قد توصلنا إلى النيّة المقصودة تجاه قضية ما»، والواقع إن منهج «تحليل الموضوع» (Topic Analyiss) هو القادر على تأسيس بداية الحدث، ثم إن الشواهد الواضحة في الحدث هي التي ستؤسس نهاية الحدث. على أية حال إن قضية جنائية في محكمة من المحاكم هي أكبر من أن نكتشف النوايا التي تدور حولها ثم الشواهد اللازمة لدعم هذه النوايا، ومهما يكن من أمر، فإن ما نسعى إليه في قضية جونز الجنائية هو أن نقرر:

ما هي النيّة المقصودة أولاً ثم ما الذي أُنجز من هذه النيّة ثانياً، ذلك أن مفهوم النيّة (Intentionality) هو مفهوم زئبقي غامض وملتبس، إذ لا يمكننا أن نحدد مقصد النية ولا يمكننا إثبات هذا المقصد إلاّ في عقل المرء الذي قصد تلك النيّة.

وفي الواقع لقد اعتادت المحاكم والتحقيقات التقليدية أن تسأل المتهمين (المشكوك في أمرهم) أن يكشفوا عن نواياهم الفعلية فقط، ولكن هذا الاتجاه في التحقيق وحتى في معظم الأحوال الممتازة، لن يتمخض إلاّ عن مواد تقديرية شخصية تعكس التقلّبات المزاجية للإنسان المُتهم، فعندما نسجّل محادثة فعلية على شريط فإنه سيكون هنا أشياء كثيرة في هذه المحادثة يمكن العمل عليها. وهكذا فإن السؤال سيصبح كما يلي:

كيف يمكن لبنية المحادثة المسجّلة على الشريط أن تساعد هيئة المحلفين لأن تَحْدس أو تخمنَ أو تستنتج نوايا الأشخاص المشاركين في تلك المحادثة؟. فعلى الرغم من تحليلي للموضوعات الرئيسية في محادثة جونز المسجّلة، فقد كان الهدف منها بادىء ذي بدء تحديد مضمون المحادثة، إلاّ أن هذا الهدف سرعان ما أصبح جليّاً، لذلك كان لابد من فكّ المحادثة وتوزيعها على نحو مناسب؛ لكي يثبتَ هذا الفكُّ والتوزيع الفائدة الجلّى لهيئة المحلفين من أجل أن يفهموا بالضبط ماذا كان يجري من أحداث في تلك المحادثة.

٤.فكّ الموضوعات وتوزيعها

بادىء ذي بدء هناك سؤال لابد من الإجابة عنه هو: كيف يمكنني أن أعرف معرفةً دقيقة

متى ينتهي موضوع رئيسي ما ويبدأ موضوع رئيسي آخر؟. الحقيقة هناك طرائق عديدة نفرض نفسها في هذا المجال للإجابة عن هذا السؤال. لنتمعن المحادثتين المسجلتين على شريط والمقدمتين كشاهد في هذه الحالة. فقد تضمنتا أشياء عدة هي:

(١) قتل ويندولين والقاضي معاً.

(٢) ألفريد (اسم علم).

(٣) ترتيبات من أجل لقاءات يمكن أن تتم في المستقبل.

(٤) بعض الموضوعات غير المعروفة.

(٥) السيارة (الشاحنة).

(٦) نظارة شمسية لجونز.

(٧) مجموعة محليّة نشيطة.

(٨) الخطة الأصلية.

(٩) تفضيل الأصدقاء.

(١٠) صحنهم.

(١١) طلاق جونز.

(١٢) جزء من السيارة كان قد تحطّم.

إن هذه الموضوعات الرئيسية (١ ـ ١٢) منفصلة بوضوح عن بعضها بعضاً منطقياً ودلالياً، أما ردود بقية المتحدثين (الذين لم يقدموا هذه الموضوعات) فلم تكن سهلة التصنيف، لذا فقد فضّلتُ أن أستعمل مصطلح «جواب الموضوع الرئيسي» وذلك لكي أميز الكلام (أو غياب الكلام) بوضوح عندما تأخذ الموضوعات الرئيسية طريقها للحدوث.

إن مصطلح «خبر» (Comment) الشائع الاستعمال هنا لم يكن معرّفاً تماماً، وذلك لسببين:

الأول: أن «الخبر» لايميز على نحو مؤثر بين «الجواب» (Response) وبين «القرار» (Decision) ذلك التمييز المهم جداً في مثل هذه القضية، وهذا يعني أنْ ليس كلُ «جواب» يُعدّ «قراراً»، ذلك لأن المهم في أية قضية هو «القرار» حول الموضوع الرئيسي.

وبكلمة دقيقة إن ما يهمّ المحكمة هو القرار المتخذ من الشخص وليس الجواب الذي يُدلي به.

الثانى: إن مصطلح «الخبر» ليس قوياً وشائعاً وواضحاً لهيئة المحلفين مثل مصطلح «الجواب».

والواقع أن هناك شواهد وأدلة بنيوية تساعدنا على معرفة كيفية تقديم الموضوع الرئيسى أو تغييره بعد معرفة مضمونة بطبيعة الحال. من هذه الشواهد والأدلة:

(١) تغيّرات فى نغمة الصوت وطبقاته من ارتفاع وانخفاض.

(٢) الوقفات أثناء المحادثة بما فى ذلك:

أ ـ تردد المتكلم.

ب ـ انقطاعه عن الكلام.

جـ ـ الاستمرار فى الكلام (بعد الانقطاع).

(٣) وسائل فردية أو عامة تدل على الموضوع الرئيسى عندما يتبادل المتحدثون أدوارهم أثناء المحادثة، كما هى الحال فى المثال التالى:

ـ تطلّعْ... لقد وجدت شيئاً هنا.	[+ موضوع جديد].
ـ آه...	[+ موضوع جديد].
ـ احتفظ به. انتظر لحظة.	[+ موضوع جديد].
ـ الآن.	[+ موضوع جديد].
ـ فقط مشكلة واحدة.	[+ موضوع جديد].
ـ آه، ماذا أيضا.	[+ موضوع جديد].

والحقيقة إن هذا الربط الداخلى والسبك العروضى المنسجم للفواعل وللعبارات والتراكيب اللغوية المعلَّمة مكّنتنى من معرفة وحدات الموضوعات الرئيسية فى تينك المحادثتين.

٥. الموضوعات الرئيسية فى قضية جونز

أريد أن أبيّن الآن كيف رُتّبت الموضوعات الرئيسية فى المحادثتين ترتيباً بيانياً، وكيف ظهرت أثناء عرضها على هيئة المحلفين، فقد بلغ عدد الموضوعات الرئيسية فى الشريط الأول ٢٢ موضوعاً، كما هو موضّح فى الرسم البيانى رقم (١).

والواقع أننا نستطيع ـ من خلال عرض الموضوعات الرئيسية ـ أن نكتشف ونعرف من

هذا المتحدث الذى كان متحكماً بتقديم الموضوع الرئيسى، ونستطيع أن نعرف بالتالى من كان يلفّ ويدور حول الموضوع الرئيسى، وأخيراً نستطيع أن نحدد الموضوعات الرئيسية التى تمّ اللف والدوران حولها.

وقد تمّ استخدام الألوان فى الترتيبات والرسوم البيانية المقدمة إلى هيئة المحلفين عن طريق شاهد خبير تمّ تحليفه أمام القضاء؛ وذلك لتمكين هيئة المحلفين من رؤية الاختلافات القائمة بين أنواع الموضوع الرئيسى: كالموضوع التحويلى، والموضوع الاقتراحى، والموضوع المفصّل، والموضوع العلم...، ثم لتمكينهم من رؤية الموضوع الرئيسى الذى كان يتم حوله اللفّ والدوران. بالإضافة إلى ذلك فقد تمت كتابة الكلمات على نحو واضح تحت كل صندوق يحوى موضوعاً رئيسياً؛ وذلك من أجل تذكير المحلفين بجزء من المحادثة، ذلك الجزء الذى سمعوه من الشريط. أما الرسم البيانى رقم (٢) فإنه يقدم صورة فوتوغرافية لبعض الموضوعات الرئيسية (٨ ـ ١٢)، وذلك من أجل أهداف توضيحيّة.

وأخيراً فإن الرسم البيانى رقم (٣) يبيّن الموضوعات الرئيسية الثلاث عشرة التى جاءت فى الشريط الثانى الذى كانت مدته عشر دقائق.

رسم بيانى رقم (١): تقديم الموضوع والدوران حوله. قضية جونز، الشريط الأول

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
جونز									م إ							ت			م م			م إ
فوستر	م ت	م إ	م ت	م ع	م ت	م ت	م إ	م إ		م ع	م إ	م ت	م إ	م ت	م ع		م إ	م ت		م ت	م ع	

(١) م ت = موضوع تحويلى (باللون البنى)

(٢) م إ = موضوع إقتراحى (باللون الأحمر)

(٣) م ع = موضوع علم (باللون الأخضر)

(٤) م م = موضوع منفصل (باللون الأزرق)

رسم بيانى رقم (٢): تقديم الموضوع والدوران حوله، قضية جونز، الشريط الأول، الموضوعات (٨-١٢)

الموضوعات	٨	٩	١٠	١١	١٢
جونز		م! خطة أصلية			
فوستر	م! الثمن المتقدم لقتل وبندولين والحديث عن المسدس		م ع كون المتهم فى مكان آخر عند وقوع الجريمة	م! انتهاء أولاً	م ت الطلاق

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
جونز	م ت تحية			م ماذا ستفعل بهؤلاء؟			م ت سير انتظارات الشعبة			م م نقل		م م انتظر ثلاثة أيام	
فوستر		م يمشى حول السيارة	**الآن** **ماذا على أن أنجب**		**الآن** **ماذا ملأ عيرت الخطط؟**	**سيارة شاحنة** **الذهاب إلى السيارة الشاحنة**		سيارة شاحنة يمشى حول السيارة	ماذا الآن تحرك القبلة		م ع أخبر الفريد		م ت توديع (رحيل)

(١) م ت = موضوع تحويلى (باللون البنى)

(٢) م = موضوع (باللون البرتقالى)

(٣) ماذا الآن = ماذا الآن؟ (باللون الأحمر)

(٤) سيارة شاحنة = سيارة شاحنة

(٥) م م = موضوع منفصل (باللون الأزرق)

(٦) م ع = الفريد (باللون الأخضر)

٦. المحادثة الثانية

لقد أوضحت من قبل أن هذه الرسوم البيانية استُخدمت بالفعل كجزء من الشهادة التى أدليتُ بها أمام المحكمة بصفتى خبيراً لسانياً فى هذه القضية، فقد سألنى محامى الدفاع عن الفائدة التى يمكن لهذه الرسوم البيانية أن تقدمها للمحكمة، وقد أجبته عن الفوائد التى يمكن تقديمها فى هذا المجال. على أية حال، من المفيد أن أعرض الأسئلة والأجوبة التى تمت فى المحكمة حول هذا الموضوع.

المحامى: دعنى أسألك هذا السوال د. شاى: ما هو الهدف العام الذى يمكن للباحث اللسانى أن يتوصل إليه عند تسجيله لهذه المحادثة وتحليله للموضوعات الرئيسية فيها؟

شاى: من الأهداف الرئيسية لهذا العمل اللسانى هو أن أبيّن ما إذا كانت الموضوعات الرئيسية فى المحادثة متكافئة (متوازنة) من حيث العدد أم أنها ليست كذلك كما هى الحال فى هذه القضية. فكما هو معروف، هناك دائماً هذا التوازن والتكافؤ فى الموضوعات الرئيسية ولاسيما فى المحادثة العادية والطبيعية، ذلك لأن المتكلمين المشاركين فى مثل هذه المحادثة يقدمون عدداً متساوياً من الموضوعات الرئيسية عندما يتحدثون مع بعضهم بعضاً.

فلكى نحدد طبيعة المحادثة وبنيتها فإنه يتوجب علينا أن نعرف لا مَنْ قدَّم هذه الموضوعات الرئيسية فحسب، بل أن نعرف أيضاً عدد هذه الموضوعات. وبعبارة أخرى، إننا نريد أن نعرف ما هى كمية الموضوعات التى كان يقدمها كل متكلم فى هذه المحادثة، وهل هناك تكافؤ كمى بينها؟

المحامى: وهل هناك تكافؤ وتوازن كمىّ فى تقديم الموضوعات الرئيسية فى هذا الشريط المسجّل؟

شاى: لا؛ ليس هناك تكافؤ كمىّ.

وبعد أن سألنى المحامى عن مصطلح «اللفّ أو الدوران» حول الموضوع الرئيسى فإنه استطرد قائلاً:

المحامى: هل لك أية ملاحظة، كخبير فى اللسانيات، على عدم تكافؤ كمية الموضوعات التى قدّمها السيد فوستر والتى بلغت (١٨) موضوعاً بالمقارنة مع كمية الموضوعات التى قدّمها السيد جونز والتى بلغت (٤) موضوعات؟

شاى: نعم. من مميزات المحادثة أنه بمجرد أن يقدّم المتكلمُ الموضوع الرئيسى فيها فإنه لا يعيد

تقديمه (أي يلف ويدور حوله مرة بعد أخرى) ولاسيما إذا كان قد أكدّه. إن المتحدث لا يكرر تقديم الموضوع نفسه مرة بعد أخرى إذا لم يُجبْ عنه المستمع (أو المتلقى).

والواقع لقد استغرقت مثل هذه الأسئلة وغيرها يوماً كاملاً من أيام المحكمة، وقد كان سبب هذا الوقت الطويل الصورة المجسمة (المكبرة) للرسوم البيانية وجداولها التى بيّنت الموضوعات الرئيسية وبيّنت أيضاً أجزاءً منها كان لها صلة وثيقة بالقضية. وفيما يلى سوف أبيّن أنواع الموضوعات الرئيسية التى قدّمها فوستر وجونز خلال المحادثة الأولى:

رسم بيانى رقم (٤): أنواع الموضوعات التى قدمها فوستر وجونز. الشريط الأول

	فوستر	جونز
موضوع تحويلى	٨	١
موضوع اقتراحى	٦	٢
موضوع اسم علم	٣	٠
موضوع مفصّل	١	١
المجموع	١٨	٤

إن هذه الرسوم البيانية البسيطة للمحادثة والمقدمة لهيئة المحلفين لاشك فى أنها تقدم دليلاً واضحاً على أن جونز لم يكن متحكماً أو مسيطراً فى هذه المحادثة، فى حين أن فوستر كان على عكسه، فقد بدت سيطرته واضحة فى المحادثة.

على أية حال، لقد تلّخص وضع الدفاع بما يلى: إذا كان جونز هو المحرّض على قتل زوجته والقاضى معاً، أليس من الغريب إذاً أنه لم يعرض أو يقترح هذا الموضوع مطلقاً؟!

٧. الموضوع التحويلى (م ت)

وهكذا يبدو واضحاً من خلال تحكم فوستر وسيطرته على الموضوع التحويلى أن المسؤولية تقع على عاتقه؛ وذلك لجعله المحادثة مغرية وجذابة، ثم لاستعماله استراتيجية التحول أو الانتقال من موضوع إلى آخر. أضف إلى ذلك أن هذه الموضوعات التى قدّمها فوستر لم تكن جوهرية الأمر الذى جعله يعيد ويكرر اقتراحها مرة بعد أخرى.

والواقع إن المتحدث يستعمل عادة استراتيجية التحول أو الانتقال من موضوع إلى آخر من أجل أن يسهّل ويُيسّر فى الوقت نفسه ديناميكية المحادثة، وذلك من خلال بعض الاستراحات القصيرة أثناء تحدّثه أو من خلال تحقيقه لمقتضيات المحادثة الملقاةعلى عاتقه.

إن الطريقة الأولى التى استعملها فوستر فى الحديث هى أكثر إدراكية وتخطيطاً وإعداداً، أما الطريقة الثانية التى استعملها جونز فإنها أكثر اجتماعية وعفوية وتلقائية.

فالموضوع التحويلى الذى قدّمه جونز فى الثلث الأخير من المحادثة الأولى لم يكن مدركاً له تماماً، وهذا دليل على أنه لم يكن مسيطراً على نهاية حديثه، أما الموضوعات التحويلية التى قدمها فوستر فد كانت معدّة ومخططه على نحو توقيتى جيد.

والواقع إن جونز أجاب عن موضوعاته الجوهرية (التحويلية والاقتراحية) بأساليب مختلفة:

(١) أجاب بصمت كامل.

(٢) أجاب بضجات صوتية رمزية مثل (آه، حسناً، قحة).

(٣)أجاب من خلال تغييره للموضوع بشكل تام.

(٤) أجاب عن جزء غير مهم من الموضوع المقترح.

وقد رد فوستر على جواب جونز الذى يمثّل الحد الأدنى، من خلال نقله الموضوع الرئيسى إلى موضوع آخر أقل خطراً؛ وذلك من أجل أن يجعل جونز يشعر بالارتياح من ناحية، وألاّ ينفوّه إلاّ بكلمات قليلة من ناحية أخرى.

إن أساليب فوستر فى تقديمه الموضوعات التحويلية تشبه تماماً أساليب بائع يحاول أن يجعل زبونه يجيب عن أساليب بيعه الملحّة، فإذا لم يتمسك الزبون بسلعة واحدة على الأقل فإن البائع يحاول أن يلجأ إلى أسلوب ملحّ آخر من أجل أن ينتزع جواباً من ذلك الزبون (وأىّ جواب).

والحقيقة عندما لفتُ انتباه المحامى إلى هذه المسألة فإنه قد تحمّس لها وردّ رداً عاطفياً، معتبراً أن مهنة فوستر، فى الواقع، هى كمهنة البائع بالضبط.

٨.الموضوع المفصل (م م)

فى المحادثة نفسها التى جرت بين جونز وفوستر لم يقدِّم جونز إلا موضوعاً رئيسياً مفصلاً واحداً (وبالتحديد رقم ١٩). ومن الأهمية بمكان أن نكتشف أن هذا الموضوع المفصل الذى

قدّمه جونز يقع بين حدى الموضوعين التحويليين اللذين قدمهما فوستر (وبالتحديد رقم ١٨ و٢٠)، ويتضمن هذا الموضوع المفضّل (الذى كان مُضمراً) ما إذا كان مناسباً لـ(سكرتير) جونز أن يبلغ الرسالة الشفوية إذا رغب فوستر أن يطلبها منه.

٩.موضوع اسم العلم (م ع)

إن موضوع اسم العلم (ألفريد) الذى هو رئيس فوستر بالشركة التى يمكلها جونز، كان قد قدّمه فوستر وحده؛ ذلك لأن فوستر كان قد اعتاد أن يتغيب عن العمل فى بعض الأحايين وذلك من أجل أن ينجز بعض الأعمال الشخصية لجونز. وهكذا فإن تقديم فوستر موضوع اسم العلم (ألفريد) كان أسلوباً استراتيجياً لكى يتمكن من أن يسأل جونز أن يقدم لألفريد دليلاً على أنه (أى فوستر) كان فى مكان آخر عند وقوع الجريمة.

والواقع لقد قدّم فوستر موضوع ألفريد ثلاث مرات (وبالتحديد ٤ و١٠و ١٥). ويبدو للمرء ظاهرياً أن تقديم هذا الموضوع لم يكن لمصلحة جونز وبراءته. وكان يبدو لى أنه يجب أن نلاحظ لمَ قُدّم هذا الموضوع.

على أية حال، وكما تبين فيما بعد (وهذا التبيان لم يكن معروفاً عندى حتى بعد شهادتى فى المحكمة) أن جونز أدلى بالمحكمة أنه كان قد استأجر فوستر فى البداية من أجل أن يراقب ويرصد له النشاطات التى يمكن لزوجته أن تقوم بها قبل الطلاق أو أثناء جلسات المحكمة. وهكذا فإن جونز ادّعى بأن تقديم موضوع اسم العلم ألفريد يرجع إلى هذه المسألة المتعلقة بفوستر.

١٠.الموضوع المقترح (م إ)

لقد قدّم جونز الموضوع المقترح مرتين وكان مثل هذا الموضوع حجة لصالح دفاعه. إن هذا الموضوع الاقتراحى الذى قدّمه أولاً تحت رقم (٩) وأعاد ذكره تحت رقم (٢٢) كان بالفعل بديلاً للموضوع المقترح الذى قدّمه فوستر وهو (نفذ بالقاضى ثم بوندولين)، وقد كان مضمون الموضوع المقترح والبديل الذى قدمه جونز يدور حول «الرجوع إلى الخطة الأصلية». وبصفتى خبيراً لغوياً فإننى لم أكن أعرف حتى هذه اللحظة ما هى الخطة الأصلية، أضف إلى ذلك أنه لايحق لى أن أعرف الحقائق المتعلقة بهذه القضية ولاسيما تلك الخارجة عن المواد التى حللتها وقدمتها كدليل.

فإذا كان على المدّعى ومحاميه أن يكتشفوا ما هى هذه الخطة الأصلية فإن عليهم أن يعرفوها من جونز نفسه وليس من تحليلى اللغوى.

١١.الشريط الثانى

لقد حللت ما جاء فى الشريط الثانى تحليلاً مشابهاً للشريط الأول. فقد قدّم جونز فى هذا

الشريط خمسة موضوعات رئيسية من أصل ١٣ موضوعاً. وقد كانت مضامين هذه الموضوعات غير جوهرية إذ تضمنت ما يلي:

- تقديم التحيات.
- ذكر موضوعات ألزموا أنفسهم بالتحدث عنها.
- تقديم موضوع تحليلي.
- تقديم موضوعين مفصّلين.

أما فوستر فقد قدم ثلاثة موضوعات رئيسية ولكنها جوهرية ندور حول القاتل (المتترص) الذي كان قد استأجره فوستر، وقدم أيضاً موضوعين رئيسين يدوران حول نشاطهما في السيارة الشاحنة، وموضوعاً آخر يرجع إلى الموضوعات التي التزما بالتحدث عنها، وأخيراً قدم موضوعاً سريع النسيان يرجع إلى ألفريد، ثم موضوعاً حول رحيلهما أو وداعهما.

١٢. الأجوبة عن الموضوعات الرئيسية

المرحلة الأولى من مراحل التحليل هي أن نعرِّف بالموضوعات الرئيسية ونقدمها تقديماً واضحاً، وبعدها يمكننا أن نمتحن الوجوه الحاسمة التي تهمّ المحكمة، وبالتحديد الأجوبة عن هذه الموضوعات.

وينبغي أن نتذكر بأن المحلفين ليس عندهم تجربة غنية ولا استعداد لهذه التجربة التي تقوم على سماع أكبر عدد من الناس؛ وذلك لمعرفة القاتل والذي قيل ومن قيل له ثم الموضوعات التي قيلت، لذلك ليس غريباً أن نجد ٩٩٪ من قضايا القانون الجنائي المتضمنة دليلاً مُسجَّلاً على شريط (كاسيت) تنتهي بـ«الإدانة».

ذلك أن المحلفين يميلون إلى الاعتقاد أنه إذا سُجِّلت أقوال شخص من الأشخاص على شريط (كاسيت) وكانت هذه الأقوال ضده فإنه يُعتبر مذنباً ومداناً، وهناك اعتقاد خاطىء آخر في حالة التحقيقات والقوانين الجنائية ينبغي معالجته، ويذهب إلى أنه إذا كان هناك شخصان يتحدثان حول موضوع معين وأن أحدهما تطرق إلى موضوع آخر مثل موضوع القتل فإن الاثنين يُعتبران مشتركين في هذا الموضوع (أي القتل).

أما الآن فسنعود إلى قضية الموضوع ثم الرد عليه لنرى أنه بعد أن يُقدم الموضوع فإن المشارك في المحادثة غالباً ما يردّ على ذلك الموضوع بأساليب مختلفة يمكن ذكرها فيما يلي:

(١) يمكن أن يضيف شيئاً ما إلى الموضوع المقدّم عندما يأتي دوره في المحادثة.

(٢) يمكن أن ينكر الحقائق المتعلقة بالموضوع المقدَّم.

(٣) يمكن أن يتجاهل الموضوع المقدم من خلال استراتيجية الصمت.

(٤) يمكن أن يردّ على بعض وجوه الموضوع المقدم وليس على كلها.

(٥) يمكن أن يخالف أو يغيّر الموضوع المقدم إلى شيء آخر.

(٦) يمكن أن يطلب توضيحاً أو إسهاباً لشرح الموضوع المقدم.

(٧) يمكن أن... إلخ.

إن استجابة المشارك في المحادثة تدل على النية المقصودة للاستماع، تلك النية التي هي أعمق بكثير من مستوى المعنى الدلالي التي نفرزه الكلمات والعبارات والجمل اللغوية المنطوقة أو المكتوبة؛ ذلك أن المشارك يكون متجاوباً ومنغمساً ومتفاعلاً في المحادثة عندما يكون مهتماً وعارفاً بالموضوع الذي تدور المحادثة حوله.

وهكذا فإذا فُكّت المحادثة المتعلقة بقضية جونز ووزعت موضوعاتها توزيعاً يتوافق مع تحليلنا اللساني، فإننا نستطيع أن نلاحظ ونكتشف الصيغة المهمة لاستجابة جونز وتفاعله في المحادثة أو عدم هذه الاستجابة والتفاعل.

فإذا لم نُدخل في حسابنا الموضوعات التحويلية التي لا تستدعي إلاّ التجاوب الاجتماعي فقط ولا علاقة لها بالتجاوب العقلي الإدراكي، فإنه يبقى لدينا في الشريط الأول موضوعات ألفريد فقط التي هي موضوعات مقترحة ومنفصلة، وقد قُرّرت الموضوعات المقترحة كلها عندما قُدّمت، وكان يُعاد ذكرها من أجل إضافة بعض التفاصيل الأخرى.

وقد كانت ردود جونز على الموضوعات المفصّلة التي قدمها ألفريد مفعمة بالحيوية والنشاط والتفاعل أكثر منها في الموضوعات المقترحة، ويظهر أن جونز كان مهتماً بموضوع غياب فوستر عن العمل أكثر من أيّ موضوع آخر كان قد قدمه فوستر نفسه، وقد كان هذا الاهتمام بسبب ارتياحه بأنه قد توصل أخيراً للموضوع الذي يريده، أو ناتجاً عن فهمه لهذا الموضوع أكثر من الموضوع المقترح.

والواقع إن الرسم البياني رقم (٥) يمثل حلاً لإشكالية الموضوعات في المحادثة الأولى، تلك الموضوعات التي كنت قد حضّرتها لهيئة المحلفين أثناء شهادتي في هذه القضية.

إن الفكرة المهمة في هذا الرسم البياني هي أن أصنّف وأبيّن لهيئة المحلفين الردود على الموضوعات الأكثر جوهرية في هذا الشريط، وبالتحديد الموضوعات المقترحة والموضوعات المتعلقة باسم العلم.

وعلى الرغم من أن موضوع اسم العلم (ألفريد) كان يبدو غير جوهرى فإنه قدِّم فائدة جليّ، فإذا قارنا هذا الموضوع مع الموضوعات المقترحة التى قدمها فوستر فإننا نرى أن موضوع اسم العلم (ألفريد) أظهر كيف يمكن للحل الواضح أن يتجلى، وكيف يمكن أن يكون.

وقد عاهد جونز نفسه أخيراً على مساعدة فوستر بأن يبعده عن ألفريد عند وقوع الجريمة، وقد قُدِّم هذا الموضوع الذى يقع تحت رقم (١٥) ثلاث مرات، فإذا قارنا هذا الحل مع الحل السابق فإننا نجد ضعفاً ونقصاً فى العهد الذى أخذه جونز على نفسه حين ردّ على موضوعات فوستر المقترحة المتعلقة بالقتل والتى أعيد ذكرها مرات عديدة، لذلك نرى جونز يتجنب الحل من خلال استخدامه استراتيجيات معينة فى المحادثة، من هذه الاستراتيجيات:

(١) الردود غير التامة (مقدمات خاطئة وكلام غير تام).

(٢) الردود غير الواضحة (حسناً، آه، إلخ...).

(٣) طلب التوضيح والإسهاب.

(٤) تعليقات خارجة عن الموضوع.

(٥) الافتراض والزعم بالفشل لسماع ما يُقال.

(٦) الردود على وجوه فرعية من الموضوع، وترك جوهر الموضوع دون حل.

وباختصار: لم يكن هناك تعهد، ولم يكن هناك حل من جونز.

رسم بيانى رقم (٥): الحل. قضية جونز. الشريط الأول

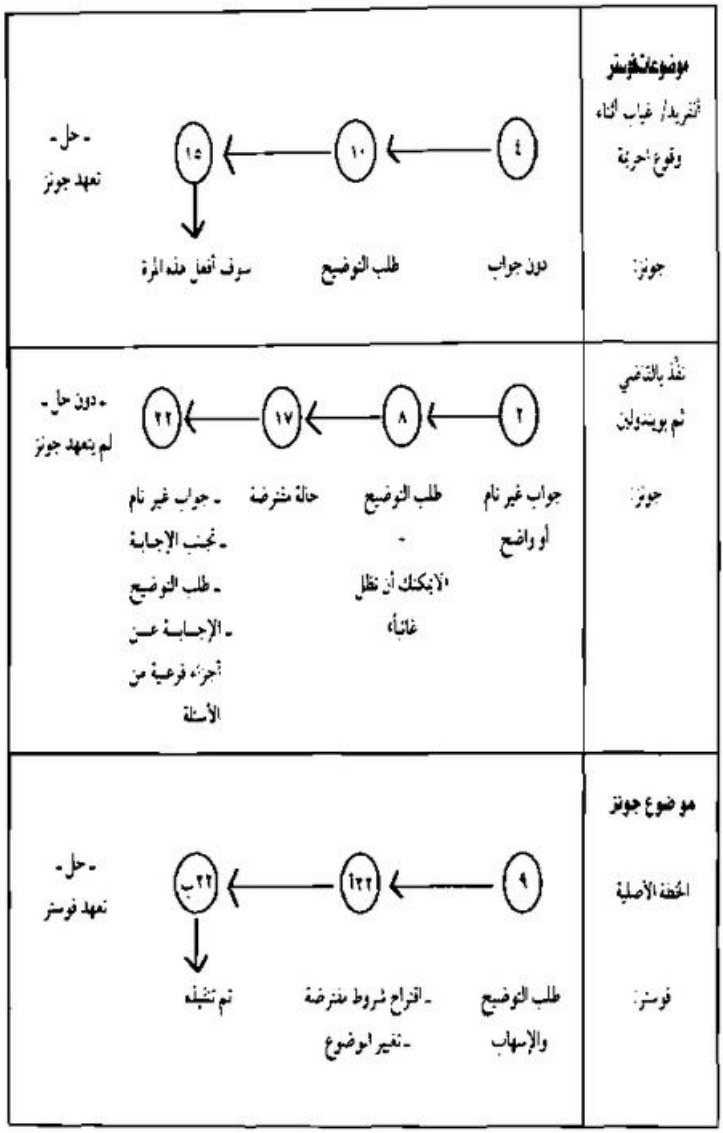

والواقع إن الموضوع (١٧) كان قد مرَّ ببعض اللحظات القلقلة، فرجوعاً إلى القائل المستأجَرْ والمفترض فقد أجاب جونز ما يلي:

«حسناً، لن يذهب تائهاً إلى هناك ما دام أي إنسان يعرف ماذا سيفعل. نفِّذ بالقاضي وبعدها بالزوجة. هذا كل ما في الأمر».

يبدو من ظاهر هذه الكلمات أنها تنفي على وجه التأكيد أن جونز في الموضوع (١٧) لم يحلّ الموضوع ولم يتخذ قراراً حوله. والواقع ليس هناك تناقض بين ما جاء في الموضوع (١٧) وبين التحليل الذي توصلتُ إليه: ذلك أن الكتابة التي نُقلت من الشريط، والتي قام بها المحققون في قسم الأمن كان فيها نوع من الخطأ: ذلك أن المحادثة الأصلية والصحيحة التي كانت بين فوستر وجونز هي التالية:

فوستر: «أعني بأنني سأنفذ كل ما تقوله... ولكن آه... ماذا ستفعل إذا كان (ابن الكلب) يريد أن يفعل... أنت تعرف. إنهما متحدان تماماً. آه لو اختطف ذلك القاضي ووضعَه في سيارته... فسوف يكون في جحيم من السوء. ولكن أليست هذه الحالة أفضل من أنه لو تُرك (ابن الكلب) ينزف دماً وهو في الطريق...».

جونز: «حسناً، لن يذهب تائهاً إلى هناك ما دام أي إنسان يعرف ماذا سيفعل. هو يودّ أن ينفّذ بالقاضي وبعدها بالزوجة. وهذا كل ما في الأمر».

إنّ إصغاءً جيداً لهذا الشريط سيظهر أن أحداً ما قد حذف عبارة: (He Would) التي تعني (هو يودّ أن...) من كلام جونز المكتوب، محولاً بذلك الجملة الشرطية إلى جملة أمر. أي أن جونز كان قد قال ما معناه: «هو يود أن ينفذ بالقاضي ـ فإذا نفّذ بالقاضي ـ فعندئذ بالزوجة»، ولكن الذي حصل أن كتابة المحققين في قسم الأمن لهذا المقطع لم تكن دقيقةً وبذلك حُذفت عبارة (هو يود أن...) وأصبحت العبارة (نفّذ بالقاضي...). ويتبيّن هذا الخطأ اللغوي من خلال عرضنا لما قاله جونز باللغة الإنكليزية ثم ما نُقل على لسانه كتابة:

فبدلاً من أن يوصف كلام جونز من الشريط ويُكتب كما يلي:

"He,d do The Judge, and Then his Wife and That Would be it"

فإن كتابة المحققين من قسم الأمن كانت كما يلي:

"Do The Judge, and Then his Wife, and That Wolld be it"

والحقيقة لقد استشهدتْ وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية بالنسخة غير الصحيحة لكلام جونز، وذلك قبل جلسات المحكمة وأثناءها.

فإذا دققنا النظر في المضمون السياقي لسؤال فوستر فسوف نراه افتراضياً، وكذلك الأمر بالنسبة لرد جونز على ذلك السؤال فإنه افتراضي أيضاً. ويتبيَّن هذا من قول جونز مكملاً حديثه:

«أو إذا هو... أو هو يمكن أن يقبض على القاضي وهو آت»، فمنذ أن كان رد جونز على حالة مفترضة ليس جواباً محدداً فلا يمكن عندها اعتبار هذا الرد حلاً لاقتراح فوستر المتضمن استئجار أحد الناس لقتل ويندولين والقاضي، لهذا السبب يمكننا أن نقول بأنه لم يكن هناك حل لهذا الموضوع المقترح في هذا الشريط.

وعلى النقيض من ذلك فإن الموضوع المقترح الذي قدّمه جونز والمتضمن «ارجع إلى الخطة الأصلية» إنما حلّه فوستر في الموضوع (٢٢) من المحادثة الأولى. فبعد الرد الذي طلب مزيداً من التوضيح والإسهاب ثم الشكوى واقتراح شروط افتراضية ثم تغيير الحديث في الموضوعات (٩) و(١٧ و (٢٢) فإن فوستر أذعن في نهاية المحادثة لمشروع جونز قائلاً: «اعتبرها منتهية».

وهذا يجعلنا نستنتج أن هناك حلاً لموضوع فوستر المتعلق بـ ألفريد، وحلاً لموضوع جونز المتعلق بالخطة الأصلية، أما ما بقي دون حل فهو موضوع فوستر حول التنفيذ بالقاضي وبالزوجة ويندولين.

١٣. المظاهر الأخرى لتحليل الموضوع

الواقع إن التحليل العلمي الذي يحاول أن يقسّم ويصنّف المادة المدروسة بحيث يجعلها أجزاء مفككة عن بعضها بعضاً، وخارجة عن دائرة سياقها الملائم، إنما هو تحليل يُعرِّض نفسه للمخاطر التي تتسم بالتصنع والتكلف أحياناً. انطلاقاً من هذه النظرة يبدو واضحاً أن فصل الموضوع المقدّم عن جوابه أو الرد عليه أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً، إن الإجراء التحليلي هنا هو إجراء يتسم بالدائرية أكثر منه بالتعاقبية.

وعلى الرغم من معرفتنا بأن الجزء لاينفصل عن الكل ولكنه يشرحه فقط، فإن عزْلنا الموضوع الرئيسي عن جوابه هنا كان لأمر توضيحيّ فقط؛ إذ إن هذا الفصل قد أثبت لنا نتيجة مفيدة جداً سواء أكانت هذه النتيجة متعلقة بالتحليل اللساني أم أنها متعلقة بهيئة المحلفين، فالتحليل اللساني أغنى نظريته بنتائج هذه القضية، وهيئة المحلفين تعلّمت أشياء

كثيرة من تلك النتائج أيضاً، يمكن من خلالها أن تعيد النظر فى التحقيقات والقوانين الجنائية.

والحقيقة هناك مظاهر أخرى للتحليل اللسانى المستعمل فى الدفاع عن جونز يمكن أن تُقدّم على أنها أجزاء من بنية الموضوع وجوابه فى المحادثتين، فالوقفات أثناء المحادثة مثلاً أظهرت نتائج مفيدة جداً لرد جونز على الموضوع الذى قدمه فوستر بادىء الأمر، ثم إن المقاطعات التى حصلت أثناء المحادثة كان لها دور مهم وحاسم فى فهم المحلفين وإدراكهم للموضوعات المقدمة ثم الردود عليها، وقد كانت الرموز والإشارات الغامضة مفيدة جداً للدلالة على الأجوبة غير المؤكدة، أضف إلى ذلك أن تحليل بعض الأصوات والكلمات المعينة مثل (آه... حسناً... طيب «OK») أثبت أن هذه الإشارات ذات دلالة مفيدة، فليس كل جواب ظهر على أنه إيجابى هو إيجابى بالفعل.

١٤.نتائج البحث

إن هذه الدراسة اللسانية الميدانية لقضية من قضايا القانون الجنائى تطرح نتائج غنية ومهمة يمكنها تطوير النظرية اللسانية والقوانين الجنائية فى الوقت نفسه.

وربما كان الأمر الحاسم فى هذه القضية هو أنها هى التى أملت علينا أن نختار «الموضوع الرئيسى» كوحدة قياسية للتحليل، فالمشكلة التى واجهتنا هى أن نحدد بالضبط ماذا يمكن لبنية المحادثة أن تخبرنا حول معنى الحدث ودلالته الحقيقة، وبالطبع فإن الأمر أولاً وأخيراً يرجع إلى هيئة المحلفين الذين هم أنفسهم يستطيعون أن يقرروا بالضبط ماذا حدث ثم ماذا قيل فى الأشرطة المسجّلة حول الحدث، فليس من اختصاص اللسانى أن يخبر المحلفين عن النوايا المقصودة للمتحدثين ولا عن معنى كلماتهم وجملهم، ذلك أن المحكمة بالذات كانت قد وافقت بأن هذا من اختصاص المحلفين وحدهم.

ولكن دور الباحث اللسانى هنا، والمختلف تماماً، هو أن يساعد هيئة المحلفين على فهم بنية المحادثة التى تقدم بدورها قرائن لفظية ومعنوية لكشف النوايا المحتملة للمتحدثين، ثم لمساعدتهم على تمييز ما قيل بالضبط ثم من هو القائل، فهذه الدراسة الميدانية هى تحليل لسانى من جهة وعمل تعليمى ـ بيداغوجى من جهة أخرى تمّ إنجازها من خلال استخدام العروض والرسوم المرئية الموضوعة فى جداول بيانية:

أ.فعلى مستوى الموضوع فإن التحليل اللسانى للمحادثة قدّم مايلى:

(١) ساعد هيئة المحلفين على فهم المتحدثين الذين سيطروا وتحكّموا بتلك المحادثة، وساعدهم أيضاً على فهم أولئك الذين أجابوا عن الموضوعات المقترحة إجابات تتسم بالقِصَرُ والغموض والمراوغة.

(٢) ساعدهم على فهم الموضوعات التى تم عزلها عن بعضها بعضاً سواء أكانت هذه الموضوعات للسيد فوستر أم للسيد جونز، وذلك من خلال إعادة ذكرها أكثر من مرة.

(٣) ساعدهم على الحصول على صورة مجسمة (مكبرة) للمحادثة كلها؛ وذلك لاستخدامها كأساس مرجعى يمكن من خلاله تحديد العناصر اللغوية المكبرة فى تلك المحادثة، ثم معرفة أماكنها وسياقاتها الصحيحة.

(٤) وأخيراً فقد ساعدهم التحليل اللسانى على عزل الوجوه الجوهرية للمحادثة عن الوجوه الأقل جوهرية.

ب. وعلى مستوى الجواب فإن التحليل اللسانى للمحادثة قدّم ما يلى:

(١) ساعد هيئة المحلفين على أن يُحددوا بالضبط ما الذى كان يتجنّبه المتحدثون عند حديثهم، وما الذى كان يختلف فى حديثهم، ثم ما الذى كان يُرفض فى هذا الحديث.

(٢) ساعدهم على التمييز بين المتطلبات الاجتماعية للمحادثة والمتطلبات العقلية ـ الإدراكية. إنه من الضرورى جداً لهيئة المحلفين أن تميز وتعرف الاختلاف القائم بين المتطلبات الاجتماعية للحديث التى تستدعى بدورها نوعاً معيناً من الجواب ولو كان جواباً غامضاً ومراوغاً (كون الشخص مسايراً ومتحدثاً ممتازاً كما يقال) وبين المتطلبات العقلية ـ الإدراكية للحديث التى تستدعى حلاً إيجابياً أو سلبياً (من باب: «دعنا نتكلم بجدٍّ الآن ودعك من المزاح»).

والواقع إن أىّ مشارك فى حديث من الأحاديث يقع عادة تحت وطأة هذين النوعين من المتطلبات الاجتماعية من جهة والعقلية ـ الإدراكية من جهة أخرى، إلاّ أن المتطلبات الاجتماعية للمحادثة لها ضوابط مبنية على السياق والنوايا الزئبقية التى لايمكن للمرء أن يعرفها دون الاستعانة باللسانيات.

(٣) ساعدهم على التمييز بين الموضوعات التى كان يرغب السيد جونز بالتوسّع فيها أو التى كان يرغب بحلّها عن تلك الموضوعات التى لم يكن يرغب لا بتطويرها والتوسع فيها ولا بالتعهد بحلّها.

والواقع إنّ التحليل اللسانى فى مستوى الموضوع ومستوى الجواب ليس هو التحليل الوحيد الذى يمكن تطبيقه على قضية قضائية مثل قضية جونز، ولكنه أثبت من جهة أخرى أنه يكون أكثر نفعاً وإفادةً للتوصل إلى الهدف الرئيسى للخبير اللسانى إذا ما حدّد بالضبط بنية المحادثة من منظار اللسانيات الحديثة.

المصطلح بالإنكليزية	A	المصطلح بالعربية
Attorney		وكيل النيابة
Alibi		دليل يثبت أن المتهم كان في غير مكان وقوع الجريمة
Alternative Topic		موضوع بديل
Animate		مفعم بالحيوية (نشيط)
Absence		غائب
Avoid		يتجنب

B

Bo unded on		يقع على حدود
Bitter		مدير دال على الأسمى والألم

C

Court Litigation		دعوة قضائية
Conversation		محادثة
Criminal Court		محكمة جنائية (جنايات)
Conversational Content		مضمون المحادثة
Chart		رسم بياني (مجدول)
Conversational Balance		تكافؤ في المحادثة
Conversational Imbalance		لا تكافؤ في المحادثة
Control		يتحكم ـ متحكم
Conversational Glue		حلاوة المحادثة (جاذبيتها)
Cognitive		عقلي ـ إدراكي
Cough		قحة

Customer ..... زبون

Convict ..... يتهم (يدين)

Crucial Aspects ..... مظاهر حاسمة

Contamina Tion ..... تلوث

Clarification ..... توضيح (إسهاب)

Commit ..... يتعهد

Conditional Sentence ..... جملة شرطية

Cyclic ..... دائرى

Constraints ..... ضوابط (قيود)

Cognitive Requirements ..... متطلبات عقلية للمحادثة

D

Data ..... مواد (عيّنات)

Data Analysis ..... تحليل المواد

Determine ..... يحدّد

Defence Attorney ..... محامى الدفاع

Detail Topic ..... موضوع مفصل

Deny ..... ينكر

Delete ..... يحذف (يشطب)

Deduce ..... يستنتج

Divorce ..... طلاق

E

Evidence ..... دليل (شاهد)

Elicit ..... يستنبط

Expert ..... خبير

Equilibrium ..... توازن (تكافؤ)

Event ..... حدثْ

Evasive Response ..... جواب غامض فى مراوغة

F

Fred Topic ..... موضوع اسم العلم (ألفريد)

G

Grammatical Relations ..... علاقات نحوية

Germane ..... وثيقة الصلة بـ

Guilty ..... مذنب

Greeting ..... تحية

H

Hire ..... يستأجر أحداً

I

Investigation ..... بحث (استقصاء)

Intention ..... نوايا

Interaction ..... تداخل (تفاعل)

Invariant ..... ثابت

Infer ..... يخمن (يحدس)

Intonation Change ..... تغيّر فى نغمة الصوت وطبقته

Internal Chonge ..... سبك داخلى

Instigator ..... محرّض (محفز)

Innocence ..... براءة

Ignore ..... يتجاهل

Imperative Sentence ..... جملة الأمر

Interruptions ..... مقاطعات أثناء المحادثة

Indications ..... دلائل

Incomplete Response ..... جواب غير تام

J

Judge ..... قاضي

Jury ..... هيئة المحلفين

L

Longuage Research ..... بحث لغوي

Leave - Taking ..... استئذان ثم مغادرة

Linear ..... تعاقب (باتجاه مستقيم)

M

Macro Picture ..... صورة مجسمة (مكبرة)

Meaningful Units ..... وحدات دالة

Memory Lapeses ..... هفوات الذاكرة

Message ..... خطاب (رسالة)

Murder ..... جريمة

Media ..... وسائل الإعلام

N

Negative Resolution ..... حل سلبي

O

Occupation ..... مهنة

Operate ..... يعمل على

P

Phonological Analysis ..... تحليل صوتى (فونولوجى)

Participate ..... يشارك

Propositions ..... أقوال

Pauses ..... وقفات (أثناء المحادثة)

Prosadic Marker ..... علامة عروضية

Planned ..... معدّ (مخطط له)

Product ..... سلعة

Proposal Topic ..... موضوع اقتراحى

Prosecution ..... المدعى ومحاميه

Presumed Killer ..... قاتل مفترض

Predispostion ..... ميل (نزعة)

Participant ..... مشارك

Positive Resolution ..... حل إيجابى

Plan ..... خطة

R

Routine Methods ..... أساليب رتيبة (مكررة)

Responses ..... أجوبة (ردود)

Resolution ..... حل (قرار)

Recycled ..... أعيد ذكره

Responsibility ..... مسؤولية

Reject ..... يرفض

S

Salient Aspects ..... مظاهر بارزة

suspected Criminal ..... مجرم مشبته به

Solicit ..... يلتمس من

Surreptitious ..... سرى (مكتوم)

Semantic Structure ..... بنية دلالية

Separable Topics ..... موضوعات يمكن فصلها

Segments ..... أجزاء (مقاطع)

Substantive Topic ..... موضوع جوهرى

Social obligations ..... واجبات اجتماعية

Spontaneous ..... عفوى (تلقائي)

Silence ..... صمت

Salesman ..... بائع

Strategies ..... استراتيجيات (طرائق)

Social Requirements ..... متطلبات اجتماعية فى المحادثة

T

Transformational Units ..... وحدات تحويلية

Traditional Approaches ..... مناهج تقليدية (قديمة)

Tape - Recorded Conversation ..... محادثة مسجَّلة على شريط

Topic Analyisis ..... تحليل الموضوع

Topic ..... الموضوع

Trial ..... محاكمة

Transcript ..... نسخة مكتوبة

Topic - Comment ..... موضوع ـ جواب

Testimony ..... شهادة (فى المحكمة)

Transition Topics ..... موضوعات انتقالية

Token noises ..... ضجات صوتية

Testify ..... يشهد (فى المحكمة)

U

Unit of Meastrement	وحدة قياس
Untrained	غير مدرَّب
Uncontestable	لايمكن مناقشته
Unclear Response	جواب غير واضح

V

Verifiable Case	قضية ممكن إثباتها
Vogues	زيّ (موضة)

W

Word Frequency	تواتر الكلمة (تكرارها)
Words Order	رتبة الكلمات
Witness	شاهد